تل الزعتر يقاوم حرب الابادة ودمشق تنتظر في صوفر ـ نبأ سقوطه

مع دخول حرب الشعب في تل الزعتر اسبوعها الثالث ، والصمود الرائع الذي تجلى على المستويين العسكري والجماهيري ، كان لهيب المعارك يمتد الى جميع الجبهات العسكرية منها والسياسية :

فتشتعل جبهات الكحالة وعاريا وبسوس وبدادون والقماطية في الجبل وتزداد اشتعالا في الشمال.

وتنتشر على امتداد البقاع لتتحول « كل زجاجة الى قنبلة ، وكل سطح الى متراس ، وكل مغرق الى كمين » ، كما ورد في احد منشورات المقاومة الشعبية في مدن البقاع وقراها .

.. وتبقى صيدا رهينة الصمود في تل الزعتر ، تتلقى قذائف وصواريخ نظام الهزيمة في دمشق ، فتتألق صمودا وشموخا ، في ليل حرائق الفاشيين ، في عين الحلوة وميه وميه والزهراني وغيرها ، رغم انتصاب حواجز النار والبارود امام خبز البحر .

وأما على جبهة صوفر ، تنتظر الوساطات والمداولات يوما بعد يوم ، صمت البنادق الثورية وهدير مدافع الشعب لتكتسب معنى اخر .

الحرائق تضيء ليل الفقراء في تل الزعتر

الموجات العاتية والعنيفة للقوات الانعزالية، وقوات النظام السوري ، تكسرت جميعها ، الواحدة تلو الاخرى على مداخل مخيم تل الزعتر لليوم السادس عشر على التوالي ، امام صمود الجماهير وقرار الثوار في التصدي المستمر « حتى النصر او الشهادة » ، كما جاء في احدى البرقيات الواردة الى غرفة العمليات المركزية ، حيث تم دحر كافة الهجمات الشرسة التي تجاوزت الخمسين على امتداد الحقبة الاخيرة من الحصار وحتى الان مخلفة وراءها مئات القتلى والجرحى في صفوف القوات المهاجمة ، اعدادا كبيرة من الدبابات والاليات المدمرة ، واحرق بعض مرابض مدفعيتهم في المنصورية والحازمية وحرش تابت وسن الفيل والدورة والبراد اليوناني وعين سعادة وبيت مري من قبل مدفعية وصواريخ القوات المشتركة .

جزار ١٩٧٠ وجزار ١٩٧٦: طريق واحد وهدف واحد

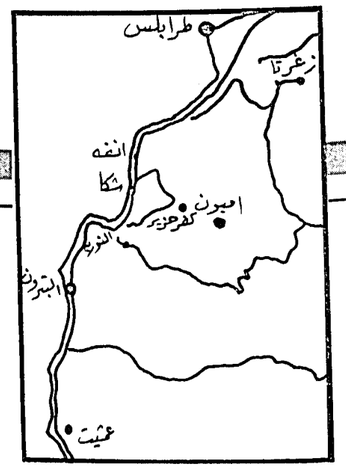

خريطة مواقع القتال في شكا والشمال

امام هذا التحدي ، انتقلت القوات المشتركة اكثر من مرة من الدفاع الى الهجوم ، فشنت اغارات ناجحة وجريئة على بعض المواقع التي استطاعت قوى الانعزاليين التسلل اليها في رأس الدكوانة وتلة المير والمكلس . كما ان القوات المشتركة استطاعت اكثر من مرة خرق الحصار ، وضرب بعض الاهداف العسكرية والحيوية في ضيعة جسر الباشا والحازمية ، رغم التعزيزات الانعزالية في الرجال والاليات ، حيث تجاوزت ست كتائب مشاة مدعمة بما يقارب ١٢٠ الية عسكرية ، تم تدمير واعطاب اعدادا وفيرة منها وايقاع ما يزيد عن ٦٠٠ اصابة في صفوفهم بين قتيل وجريح خلال الاسبوع الاخير فقط .

وهكذا .. تحطمت جميع الهجمات العاتية امام الارادة الصلبة في المخيم الفلسطيني .. ولكن بعد أن تخلف عدة حرائق اثر كل هجوم ، تبدأ صغيرة ، ثم تكبر فجاة وتتسع .. وتمتد لتشمل مساحات كبيرة ، تضيء ليل الفقراء المسحوقين .. الجائعين .. المكدودين .. المتربصين في مناريسهم على خطوط النار غير المتكافئة .

ومن خلف الحرائق الهائلة والدخان الاسود في بيوت فقراء الزعتر ينضح على المستوى السياسي « الرفيع » ان حرب الابادة .. لا ولن تتوقف ومبادرة الجامعة العربية «العتيدة» لم ولن يكتب لها النجاح في وقف النزيف . و « ان سقوط مخيم تل الزعتر ستترتب عليه اشياء كثيرة وخطيره في كل انحاء لبنان» كما كان قد اعلن السيد كمال جنبلاط .

و « ان سقوط مخيم تل الزعتر يعني سقوط عبارة وقف اطلاق النار من قاموس الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية .. والمنطقة كلها ستتحول الى فيتنام » كما جاء على لسان « ابو اياد » في مؤتمره الصحفي الاخير .

ولكن حرب الشعب الطويلة الامد لا ترتهن بسقوط الزعتر او عدمه .

ما ان اشرقت شمس صوفر حتى كانت البرقيات قد نقلت من تل الزعتر وقائع مجزرتين جماعيتين اقترفتهما القوى الانعزالية بمساندة وتغطية من نظام الخيانة في دمشق .

انباء المجزرة الاولى نقلتها برقية من المخيم حول خطفهم ٤٠ امراة وطفل اثناء الهجوم الفاشي على راس الدكوانة واطلاق النار عليهم على مراى من الجميع .

اما انباء المجزرة الثانية فقد نقلتها برقية تالية حول دخولهم الى بعض المباني في راس المكلس وخطفهم ٦٠ امراة وطفل ، واطلاق النار عليهم عشوائيا .

وفي هذه الاجواء المملوءة بالسحب والدخان والبارود والدماء والجثث كان لقاء صوفر الليلي برعاية الجامعة العربية بين وفد من « بعض » منظمة التحرير ـ بعد تمنع الحركة الوطنية عن الحضور ـ من جهة وبين الوفد السوري ووفد جبهة الكفور من جهة اخرى ، حيث تم التداول في الاقتراحات المعروضة ومنها اقتراح الاسد حول عقد صفقة شاملة مع منظمة التحرير يعقبها وقف مباشر وتام لاطلاق النار على جبهة الزعتر وغيرها من الجبهات .

ولكن رغم القبول الضمني ، والمحاذير المترتبة على هذه الخطوة الخطيرة ، عاد ليتجاوزها هدير مدافع الانعزاليين ونظام الهزيمة في دمشق في اليوم التالي حيث بات جليا التعاون السوري ـ الانعزالي في اتخاذ عملية الحصار في تل الزعتر ، ورقة ضغط على المقاومة من اجل فك ارتباطها المصيري مع الحركة الوطنية حليفها الرئيسي ، ومتابعة الابتزاز ، ومحاولات التركيع للقيادات الاصلاحية ، والحصول على مواقف واضحة في مسيرة الاستسلام العربية .

طريق الزعتر يمر بـ « شكا »

الطريق من صيدا الى تل الزعتر يمر بالهلالية وعبرا .. ودمشق. الطريق من المتن الاعلى الى تل الزعتر يمر بدمشق .

الطريق من ظهور السيمان وفاريا يمر بدمشق ايضا

كل الطرق الى تل الزعتر تمر بدمشق .. ودمشق تريد اسقاط تل الزعتر . ومع ذلك ردت القوات المشتركة على استمرار محاصرة تل الزعتر واجتياح الباشا بفتح جبهات اخرى ، اشد عنفا وضراوة على محور شكا ـ انفة .

واغادت المعلومات المتسربة من الكفور انذاك ان فرنجية نفسه كان يتابع انباء الهجوم بحساسية « الزغرتاوية » وبالتداول المحموم مع شربل قسيس والجميل وشمعون ..

وذكرت « السفير » نقلا عن مصادر « كفورية » ان القسيس كان قد ارتدى اللباس العسكري وبدا يتصرف وكانه قائد عام للمعركة ، فاستنفر قوات عديدة ومؤللة بما فيها جيش النظام في دمشق لاسترجاع المواقع المفقودة من حامات حتى شكا .

وبدمشق أيضا

كيف كانت وقائع الهجوم على شكا ؟!

لقد انطلق على شكل موجات ثلاث :

الاولى منها اتجهت الى محور راس نحاش، حامات ، وجه الحجر ، واشرفت على تلة سلعانا ، فقطعت الطريق بين شكا والبترون، ثم انحرفت نحو راس الشفعة في سيدة النورنة بهدف تدمير واحتلال مراكز مدفعية الانعزاليين. وما ان تم لها ذلك حتى اندفعت الى نفق شكا ، لتحكم الحصار على زغرتا وملحقاتها ، والالتقاء مع الموجة الثانية للهجوم .

اما الموجة الثانية فقد اندفعت عبر كفر حزير وانفه .

والثالثة تمثلت في انزال بحري في منطقة « الهري » لتشكل مع المجموعتين الاولى والثانية طوقا محكما حول بلدة شكا ، حيث تم تطهيرها بالكامل والاستيلاء على ما يقارب ٣٠ الية عسكرية واسر العشرات من جنود بركات وقبائل فرنجية وشمعون وجبيل .

ولكن الطريق من هناك الى تل الزعتر ،تمر بدمشق ايضا حيث عاود الانعزاليون بمساندة دبابات وسرايا النظام السوري شن هجوم معاكس على محور امیون ثم ايقافه .

وتستمر المعركة

.. ويستمر الصمود ، ويبقى تل الزعتر بمقاتليه وجماهيره ، تتمحور حوله كل جبهات القتال والسياسة : ـ

فعلى جبهة القتال :

ـ قوات نظام دمشق تستمر في قصفها لمدينة صيدا وتشعل النار في مرافقها ومخيماتها الفلسطينية .

ـ قوات المقاومة الشعبية تنفذ عدة عمليات عسكرية جريئة ضد نظام الغزو وتدمر بعض الباته وتقتل عددا من جواسيسه في البقاع .

ـ القوات المشتركة تعزز مواقعها في الكحالة وعاريا وبسوس وتشن عدة هجمات ناجحة على مواقع القوى المعادية على جميع محاور الجبل والعاصمة .

واما على الجبهة السياسية ، وباختصار شديد ، تنظر كل الاطراف من دمشق الى صوفر الى الكفور سقوط الرمز الفلسطيني ـ اللبناني الثائر في تل الزعتر ، ان كان بالحديد والنار او على طاولة المفاوضات رغم معرفتهم التامة ان منطق الجماهير هناك يختلف عن منطقهم اختلافا حاسما . ▫▫